

دور الموريسكيين في بناء التحصينات الدفاعية في مدينة الجزائر

خلال القرنين 16م / 17م

The Role of the Moriscos in Building the of Defensive Fortifications in City Algeria during the 16th and 17th Centuries

أوشان حفصة^{1*}، بن نعماني سيد أحمد²

¹ جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية

مخبر المناهج و التقويم في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالك تقويمها (الجزائر)

h.ouchen@univ-alger.dz

² جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)

s.bennamani@univ-alger.dz

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/11/16

تاريخ الارسال: 2025/10/20

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز الدور الفعال في مساهمة المهاجرين الأندلسيين الموريسكيين في بناء التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر خلال القرنين 16م و 17م ، وهذا مع تزامن الدخول العثماني إلى الجزائر حيث اتسمت هذه المرحلة بتزايد الخطر الإسباني على السواحل الجزائرية، وإلى جانب ذلك استدعت الأوضاع الراهنة آنذاك والتي واجهتها مدينة الجزائر إلى الاستعانة بالموريسكيين الفارين من الاضطهاد الإسباني من المهندسين والحرفيين المهرة لتوظيف خبرتهم في تحصين المدينة وتعزيز منشآتها الدفاعية، وهنا يكمن الدور التاريخي والهندسي المعماري الذي اضطلع به المواركة في تشييد المدينة بالأبراج والأبواب وغيرها من الهياكل في تطوير البنية الدفاعية .

الكلمات المفتاحية: الموريسكيين؛ التحصينات الدفاعية؛ العهد العثماني؛ مدينة الجزائر؛ العمارة العسكرية.

Abstract:

This research aims to highlight the active role of the Andalusian Morisco migrants in constructing the defensive fortifications of the city of Algiers during the 16th and 17th centuries. This period coincided with the Ottoman entry into Algeria, which was marked by an increasing Spanish threat along the Algerian coasts. In response to the pressing circumstances faced by the city at that time, the authorities sought the assistance of the Moriscos—engineers and skilled craftsmen who had fled Spanish persecution—to employ their expertise in strengthening the city's defenses and enhancing its fortifications. Thus, the historical, architectural, and engineering role of the Moriscos becomes evident in the construction of towers and gates, contributing significantly to the development of Algiers' defensive infrastructure.

Keywords: The Moriscos; Defensive fortifications; The Ottoman period; The City of Algiers; Military architecture .

1. مقدمة:

عرفت مدينة الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين تحولات سياسية وعسكرية خاصة بعد انضمامها إلى الدولة العثمانية سنة 1518م، لتصبح مركزاً استراتيجياً هاماً في حوض البحر الأبيض المتوسط، وخلال هذه المرحلة التاريخية تعرضت المدينة لسلسلة من التهديدات والهجمات التي شنتها الأساطيل الإسبانية والممالك الأوروبية التي سعت إلى السيطرة على سواحلها وموانئها وإضعاف قوتها البحرية، وفي ظل هذا الوضع برزت الحاجة إلى إقامة نظام دفاعي متين يحمي المدينة من الهجمات البحرية وكذلك البرية، لقد لعب الموريسكيون بعد هجراتهم المتتالية إلى الجزائر دوراً محورياً في بناء الهياكل الدفاعية إذ جأؤا بخبرات هندسية ومعمارية متقدمة اكتسبوها من الأندلس التي أسهمت في إثراء وتطوير الجانب العمراني والعسكري للمدينة .

تعد هذه الدراسة ذات أهمية خاصة لأنها تسلط الضوء على جانب المعماري والعسكري قلماً تناولته البحوث التاريخية، والذي يتمثل في إسهامات الموريسكيين في بناء التحصينات الدفاعية لمدينة الجزائر خلال المرحلة العثمانية، كما أن هذه الدراسة

تساهم في إبراز البعد الحضاري للهجرة الموريسكية ، وتوضّح كيف تحوّل الموريسكيون من مهاجرين قسراً إلى عناصر فعّالة في بناء جهاز عمراني و دفاعي للجزائر و هو ما يُعمق فهمنا للتاريخين العمراني و العسكري للمنطقة من خلال تتبع أثر الموريسكيين في تشكيل معالمها الدفاعية ، و انطلاقاً من ما سبق، يمكن طرح إشكالية الرئيسية كما يلي:

ما مدى مساهمة الموريسكيون في بناء التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر خلال القرنين 16م و 17م؟ وما مدى تأثير خبراتهم الأندلسية في تطوير الهندسة الدفاعية للمدينة؟

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز المساهمة الفعلية للموريسكيين في تشييد التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر مع تحليل الخصائص المعمارية والعسكرية التي تميزت بها تلك التحصينات التي شاركوا في إنجازها. كما تسعى إلى استكشاف مظاهر التأثير الأندلسي في العمارة الدفاعية الجزائرية، من خلال تتبع السمات الفنية التي عكست خبراتهم السابقة في الأندلس. وإلى جانب ذلك، تهدف الدراسة إلى توثيق أوجه التفاعل الحضاري بين الموريسكيين والعثمانيين في المجالين المعماري والعسكري، بما يبرز الدور المشترك في تطوير البنية الدفاعية والحضارية لمدينة الجزائر خلال تلك الحقبة التاريخية. كما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي القائم على جمع المعلومات من المصادر التاريخية وتحليلها في ضوء السياق السياسي والعسكري للقرنين 16م و 17م.

2. لمحة تاريخية عن وجود الموريسكيين بالجزائر:

استقرت الجالية الأندلسية الموريسكية في الجزائر عقب طردهم من إسبانيا سنة 1609م حيث وجد الموريسكيون في الضفة المقابلة ملاذاً آمناً يفرون من اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية و السلطة الإسبانية ، و بناءً على ما سبق ذكره يتطرق هذا الجزء إلى التعريف بالموريسكيين وظروف هجرتهم التي آلت بهم إلى الاستقرار بالمدن الساحلية للجزائر وغيرها من المناطق الأخرى .

1-2 التعريف بالموريسكيين :

تعددت آراء المؤرخين في تحديد الدلالة الدقيقة لمصطلح "الموريسكيين" مما أدى إلى تباين التفسيرات بشأنه غير أنهم يتفقون في مجملهم على الدلالة العامة للكلمة .

فقد شاع استخدام مصطلح " موريسيكي " رسمياً سنة 1523م للدلالة على بقايا مسلمي الأندلس غير أن جذوره تعود إلى وثائق سابقة من بلدية "بياسة" عام 1500م حيث استعمل كتصنيف قانوني واجتماعي ومع مرور الوقت تجاوز المصطلح دلالاته الدينية ليصبح تسمية لهوية حضارية و ثقافية مميزة عكست وجود مجتمع مختلف عن الثقافة المسيحية السائدة في شبه الجزيرة الإيبيرية¹، حيث يرى الباحث هيلالي حنفي أن مصطلح الموريسكيين اعتبر كدلالة تاريخية لوصف مسلمي الأندلس أو العرب الذين أجبروا على اعتناق المسيحية بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، حيث فرض عليهم التنصير القيسري ما بين سنتي 1499م و1526م وقد استمر وجود أحفادهم إلى غاية الطرد النهائي ما بين 1609م-1614م².

ويرجح الباحث ميكيل دي إيبالثا في كتابه " الموريسكيون في إسبانيا و المنفى " أن أصل مصطلح موريسيكي ترجع إلى كلمة مورو التي تعني المسلم حيث اعتبر تصغيرها دالا على الانتقاص و التحقير وقد استخدم هذا الوصف لتمييز المسلمين المعمدين قسراً عن

¹ جمال عبد الكريم ، الموريسكيون تاريخهم و أديهم ، (د.ط) ، القاهرة،(مكتبة نهضة الشرق، د.س)، ص 7 .

² هيلالي حنفي: أبحاث و دراسات في التاريخ الموريسيكي ، (د.ط) ، الجزائر، دار الهدى عين مليلة -2016م، ص 4 .

بقية المسيحيين في المجتمع الإسباني باعتبارهم مسيحيين جدد اربطت بهم صورة التشكك والازدراء¹.

ومن جهة أخرى يفصل الدكتور جمال عبد الكريم بين مصطلحي " الموريسكي Morisco" ومصطلح "المدجن Mudéjar" حيث يذكر هذا الأخير حسب رؤيته أنهم المسلمين الذين ظلوا مقيمين تحت الحكم المسيحي بعد استردادهم لعدد من الأراضي ومدن الأندلس، منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادي في فترة اتسمت بشيء من التسامح المؤقت من طرف المسيحيين اتجاه الموريسكيين إذ سُمح لهم ممارسة شعائهم الدينية والاحتفاظ بجزء من حقوقهم المدنية والشرعية، غير أن هذا الوضع لم يدم طويلاً إذ تغير سرعان مع اتساع حركة الاسترداد المسيحية فازداد عدد كبير من المدجنين وتزايدت في المقابل نقمة و حقد الكنسية عليهم مما دفعها إلى اضطهادهم ومحاربتهم، وهو ما نتج عنه السياسة العدائية التي انتهجها الملوك الكاثوليك ضدهم وذلك ابتداءً من سنة 1298م².

2.2 مراحل هجرة الموريسكيين إلى الجزائر:

شهدت الجزائر ثلاث مراحل رئيسية من الهجرات الأندلسية اختلفت أسبابها و نتائجها و تأثيرها على الوافدين في المناطق و المدن المستقبلية لها ورغم قلة الدراسات التاريخية التي عاصرت تلك الفترة فقد سعى الباحثون و المؤرخون جمع المعطيات المتفرقة لإبراز أهمية و قيمة مراحل هجرات الأندلسيين إلى الجزائر، وفي هذا السياق يشير الباحث هيلالي حنفي في قوله: " عرفت الجزائر هجرة أندلسية واسعة وهامة خلال مراحل الهجرات الثالث الكبرى نحو المنطقة، إلا أن الوثائق المتعلقة بها وبالجالية الأندلسية محدودة، والموجودة منها ما يزال معظمه موزعا عبر مختلف أرشيفات دول البحر الأبيض، وزيادة على وضعية الجالية الأندلسية بالجزائر وطبيعة الحكم العثماني بالإيالة، كلها جعلت الدراسات الموريسكية الأندلسية بالجزائر تتأخر عن زميلاتها بتونس والمغرب الأقصى"³، حيث

¹ ميكيل دي إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا و المنفى ، ترجمة : جمال عبد الرحمن ، ط1، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

ص 26

² جمال عبد الكريم : الموريسكيون تاريخهم و أدبهم ، ص 6.

³ هيلالي حنفي : مشروع البحرية الجزائرية في عمليات إنقاذ الموريسكيين الأندلسيين خلال القرنين 16 و 17 م، أعمال الملتقى الدولي الموانئ الجزائرية عبر العصور " سلما و حربا "، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة الجزائر (02) ، بوزريعة - الجزائر ، 07-08 ديسمبر 2009م، ص 186.

عرفت الجزائر هجرة الأندلسيين قبل سقوط غرناطة سنة 1492 م أي قبل الترحيل النهائي لبقايا المدجنين من أحياء البايزين¹ وسكان جبال البشرات² 1610 م³.

وتعد الهجرة الأندلسية الأولى إلى الجزائر حسب رأي فؤاد طوهارة مرحل مبكرة تعود جذورها إلى القرن الثاني للهجرة وقد استمرت إلى غاية قيام الدولة الزيانية التي عدت من أهم الدويلات التي احتضنت المهاجرين الأندلسيين⁴، وفي هذه المرحلة كان توافد العنصر الأندلسي نحو المغرب الأوسط يتم على هجرات متقطعة خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة والسبب في ذلك لم تتوفر آنذاك عوامل جذب كافية ولاسيما المجالين العلمي والمهني عكس الحواضر المجاورة لها كالقيروان وفاس ومراكش⁵.

أما المرحلة الثانية والتي تمتد من نهاية القرن الخامس إلى مطلع القرن السابع للهجرة (الموافق 11م- 13م) حيث تميّزت هذه المرحلة بهجرة كبيرة ملحوظة مقارنة بالمرحلة التي سبقتها. فقد أخذ عدد المهاجرين في الازدياد تدريجياً، نتيجة لحالة الاضطراب السياسي التي عرفت الأندلس آنذاك ولبروز الدعوات المتكررة إلى الرحيل دون للعودة إلى البلاد الأندلسية ومن بين أبرز من دعا هذا التوجّه عبد الله بن الفرج والمشهد بن العسال، كما اقترنت هذه المرحلة ببداية تصاعد المواجهة بين المسلمين والكنيسة، حيث شرعت القوى المسيحية في تنفيذ حروب الاسترداد بهدف القضاء على الوجود العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، فبدأت بالسيطرة على عددٍ من المدن الأندلسية الكبرى و حواضرها⁶.

¹ البيازين : يعتبر أحد أشهر الأحياء في مملكة غرناطة حيث عرف انتفاضة سنة 1499م و شكل مركزا للثورة و الثائرين، ينظر: جمال يحيوي : سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين 1492م-1610م ، د.ط. ، الجزائر ، دار هومه، 2004، ص153.

² : جبال البشرات : حرفت من كلمة لاتينية sierras و التي يقصد بها الجبال الوعرة أو الصعبة ، تقع في الجنوب الأندلسي و منها مدينة البشرات التي استقر بها المورييسكيين و فروا إليها بعد سقوط مدنيهم على يد مملكتي قشتالة و أرغوان. ينظر: ابن سعيد المغربي : المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف ، د.ط. ، القاهرة، دار المعارف، 2009م، ص 131.

³ محمد الأمين بلغيث، حلقات في تاريخ الغرب الإسلامي (فصول في التاريخ و العمران بالغرب الإسلامي)، د.ط. ، الجزائر ، دار القافلة للنشر و التوزيع، 2014م ، 59.

⁴ فؤاد طوهارة : الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي و المجال الجغرافي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم ، الجزائر ، العدد 15، 2015م، ص157.

⁵ فؤاد طوهارة : المرجع نفسه ، ص 157.

⁶ فؤاد طوهارة : المرجع نفسه ، 159 .

ومع القرار الذي أصدره الملك فليب الثاني سنة 1609م تأتى المرحلة الثالثة للهجرة الأندلسية حيث بدأت من القرن (15م- 9هـ) وانتهت (17م- 11هـ) حيث رسم بموجبه الطرد النهائي لمسلمي الأندلس وقد اخذت هذه الهجرة نزوحاً ضخماً من الصناع والتجار والمزارعين وتوزعت عبر الساحل في بلاد المغرب الإسلامي¹ كما هاجر العديد من الموريسكيين بعد القرار النهائي لطرد المسلمين من قشتالة، إذ أُجبر نحو أربعة عشر ألفاً منهم على مغادرة البلاد. كما صدر في السنة نفسها مرسومٌ يقضي بنفي المسلمين من ميناء بلنسية، حيث رحل ما يقارب خمسة عشر ألف موريسكي على نفقة الحكومة الإسبانية، في حين اعتمد آخرون على مواردهم الخاصة لاستئجار السفن التي أقلتهم نحو السواحل الجزائرية² ومع وصولهم إلى الجزائر، بلغ عددهم نحو خمسة وعشرين ألف مهاجر الأمر الذي أدى إلى توسّع مناطق تمركزهم واستقرارهم في مختلف أنحاء البلاد³.

3.2 أماكن استقرار الموريسكيين في المدن الجزائرية:

بعد هجرة الأندلسيين إلى الجزائر استقر الآلاف من الموريسكيين في أهم المدن في مناطق مختلفة على طول الساحل الجزائري وتتمثل هذه المدن: وهران تلمسان ومدينة الجزائر شرشال وغيرها أو مناطق داخلية كالبلدية والمدية، حيث أنهم لم يكتفوا بالمناطق الشمالية بل وصلوا حتى المناطق الصحراوية والواحات المتواجدة في بوابة الصحراء الجزائرية على غرار واحات بسكرة⁴ وعليه سيتم تناول بعض من المدن الرئيسية نوضح فيها فيها استقرار هؤلاء المهاجرين :

1.3.2 مدينة الجزائر: كانت مدينة الجزائر من أهم المدن التي استقر بها المهاجرون الأندلسيون بعد طردهم من إسبانيا. فقد استقبلت أعداداً كبيرة منهم وسرعان ما اندمجوا في النسيج الاجتماعي للمدينة وشاركوا في مختلف مجالاتها، خاصة في المجال العسكري

¹ ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر، ط2، الجزائر، دار البصائر للنشر و التوزيع، 2014، ص 38.

² ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية، ص 16.

³ هيلالي حنيفي: أبحاث و دراسات، ص 34.

⁴ فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي في الجزائر و العالم، د.ط، الجزائر، دار قرطبة للنشر و التوزيع، 2016م، ج2، ص25.

حيث انضم عدد كبير منهم إلى أسطول أمير البحر خير الدين بربروس. وقد قُدِّر عدد الموريسكيين الذين شاركوا في هذا الأسطول بنحو خمسة آلاف شخص خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1519 و1541، وقد شكّلت مدينة الجزائر الوجهة الأبرز للمهاجرين الموريسكيين، نظراً لمكانتها كقاعدة رئيسية للحكم العثماني في المنطقة. ومع مطلع القرن السادس عشر، بلغ عدد الأندلسيون المقيمين فيها حوالي خمسة وعشرين ألف مهاجر¹.

وتنوّعت أصول هؤلاء الوافدين بحسب أقاليمهم في الأندلس؛ فكان من بينهم سكان غرناطة ومناطق أندلسية أخرى عُرفوا باسم الموريسكيين، إضافة إلى سكان الثغور الشرقية مثل كاتالونيا وأراغون وفالنسيا، الذين أُطلق عليهم اسم الاستقريين. وقد استقر هؤلاء في ضاحية المدينة، وهي المنطقة التي لا تزال تُعرف حتى اليوم باسم الثران (التعران) نسبةً إليهم².

2.3.2 البلدية : يذكر المؤرخون أن الأندلسيون هم الذين أسسوا مدينة البلدية فكان أول الوافدين إليها الشيخ الأندلسي سيدي الشيخ الكبير³، فنزل في واد اسمه واد الرمان واستقر به و الذي سعي فيما بعد باسمه ليختصر الاسم بـ " واد الكبير "، عمل الشيخ سيدي الكبير على تأسيس هذه المدينة قرب مدينة خزرونة القديمة بعد أن اعطى خير الدين بربروس قطع أراضي للأندلسيين الموريسكيين المهاجرين الذين ساهموا في بناء فرن وحمام ومسجد الذي لا يزال يعرف حتى اليوم باسم " جامع التُّرك " وهذا في حدود سنة 942هـ/ 1535م⁵.

وعقب فترات وعقود طويلة من استقرار المهاجرين الموريسكين في مدينة البلدية فقد شهدت تحولا عميقا في جميع المعالم العمرانية والاجتماعية، فأضحت إحدى أبرز الحواضر

¹ ناصر الدين سعدوني: دراسات أندلسية، ص 40-41.

² ناصر الدين سعدوني: دراسات أندلسية، ص 40-41.

³ سيدي الشيخ الكبير: ولد بالأندلس بسنة 1474م وهذا بالنسبة لمصادر مختلفة وقيل أنه في مصادر أخرى أنه ولد المغرب، لكن ما رجح عنه أنه من الأندلس وقد ارتحل إلى المغرب و الساقية الحمراء في الصحراء الغربية قبل أن ينتقل إلى الجزائر، حسب تروملي نقلا عن الباحث فوزي سعد الله أنه توفي في 1540 م عن عمر يناهز 66 عاما، و قد ترك ثلاث من أبنائه هم: سيدي بلعباس، سيدي عبد العزيز، و سيدي المبارك. ينظر: فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي، ج2، ص 136.

⁴ نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، د.ط، الجزائر، دار الحضارة، د.ت، 274.

⁵ ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية، ص 19.

الجزائرية من حيث الجمال والثراء فبفضل الطابع الأندلسي الموريسكي الذي أضفاه هؤلاء المهاجرين على عمرانها وثقافتها فقد تميزت المدينة بطابعها المعماري الذي جمع بين التأثير الإيبيري الأندلسي والإرث الإسلامي، وهو ما تجلى في تصميم بيوتها وقصورها وزخارفها التي قاربت في طرازها عمارة مدينة الجزائر العتيقة، كما اتسمت بأحيائها وحدائقها الغناء التي استلهمت النموذج الأندلسي في تخطيط البساتين وتنظيم المياه، فضلاً عن ازدهار صناعاتها التقليدية كصناعة الشاشية والصباغة وصناعة الزليج التي زينت جدران المنازل والقصور والعيون العامة¹.

كما عمل الشيخ سيدي أحمد الكبير في تحويل مجرى مياه وادي الرمان وتطوير تقنيات الري وفق النمط الأندلسي في استصلاح الأراضي المحيطة بها مما جعلها تتحول إلى ضيعات وبساتين مثمرة يُضرب بها المثل في الخصوبة والجمال إلى يومنا هذا².

3.3.2 القليعة: هي من المدن التي أنشأها الأندلسيون³ المهاجرين من المدن الإسبانية والذين كانوا ينحدرون من بلنسية وقشتالة وهذا مع بدايات مطلع خمسينيات القرن 16م⁴، فاستقروا بواد ماء زعفران قرب مدينة البليدة حيث في عهد حسن باشا⁵ بن خير الدين بربروس اقتطع لهم هذه البلدة الصغيرة فأقاموا بها بين 1550م - 1555م وأطلقوا عليها اسم " القليعة " ⁶ حيث في عهده قام بمساعدة عدد معتبر من المهاجرين الأندلسيين الفارين من محاكم التفتيش حيث قال في هذا الصدد نور الدين عبد القادر " وأنشأ حسن باشا بلدة القليعة تقرب من ساحل البحر سنة 957هـ - 1550م غربي مدينة الجزائر وهي تبعد عنها حوالي 46 كيلو مترا وهي على ربوة ومرتفع من الأرض وتحتها سهول متيجة الخصبة فسكن بها النازحون الأندلسيون وانتفعوا بمياهها العذبة الصافية وهم أناس ماهرون في

¹ فوزي سعد الله : الشتات الأندلسي ، ج 2، ص 137.

² فوزي سعد الله : الشتات الأندلسي ، ج 2، ص 137.

³ ناصر الدين سعيدوني : دراسات أندلسية ، ص 19 .

⁴ فوزي سعد الله : المرجع نفسه، ج 2، ص 143.

⁵ حسن باشا : كرجلي من أب عثماني هو خير الدين بربروس و أمه جزائرية ، عينه والده واليا على الجزائر بتاريخ 20 جوان 1551م ولقب كوالده بايلرباي ، و قد تولى حكم الجزائر ثلاث مرات و قد حكمها من سنة 1544م إلى 1551م. و كان يحسن إدارة أمور البحر ، و تزوج من بنات أحد أعيان الجزائر هو الحسين بن القاضي . ينظر: عبد الحميد بن اشهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، د.ط ، الجزائر، الجيش الشعبي للطباعة ، 1972م، ص 207.

⁶ فوزي سعد الله : المرجع نفسه ، ج 2، ص 143 .

شؤون الزراعة والبساتين" ¹. و يرجع الفضل إلى الأندلسيين في إدخال أنماط زراعية ومحاصيل لم تكن تحظى سابقاً باهتمام أو عناية من طرف الأهالي ².

كما عرفت مدينة القليعة و بسبب ارتباطها بمدينة البليدة ازدهارا اقتصادياً ملحوظاً تجلّى في تنوع صناعاتها وحرفها وغنى مواردها الزراعية، إضافةً إلى طرازها العمراني الذي استلهم ملامحه من النماذج الأندلسية التي تشبّع بها الموريسكيون المدجنون في موطنهم الأصلي بلنسية وقشتالة. وقد انعكس حينهم العميق إلى ذلك الفردوس المفقود في محاولاتهم لإعادة إحياء ملامحه الحضارية في بيئتهم الجديدة بالمهجر الجزائري القليعي ³.

4.3.2 شرشال: بعد أن نزح سكانها إثر الصراعات التي نشبت بين الملوك الزيانيين والمرينيين ثم الحفصيين بتونس، ظلت المدينة شبه خالية لما يقارب القرن من الزمان، حتى سقوط غرناطة سنة 1492م، حين قصدها عدد من الغرناطيين واستقروا بها. أعاد هؤلاء إعمارها فشيّدوا عددًا كبيرًا من الدور وجدّدوا أسوارها وحصونها، واستصلحوا أراضيها الخصبة، كما برعوا في صناعة السفن واستخراج الملح، وازدهرت عندهم صناعة الحرير بفضل وفرة أشجار التوت الأبيض والأسود التي تتغذى عليها دودة القز. وقد عاش هؤلاء المهاجرون الأندلسيون في رخاء و استقرار حتى بلغ عدد بيوتهم نحو ألف ومئتين، ولم يخضعوا لسلطة خير الدين بربروس إلا اسمًا، إذ لم يدفعوا له الخراج السنوي إلا في فترات متباعدة ⁴.

5.3.2 وهران : ساهم الأندلسيون البحارة في بناء مدينة وهران و هذا ما اتفق عليه الرحالة الجغرافيين العرب حيث يقول أبو عبيد البكري: " .. و بنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحرين الذين ينتجعون مرسى باتفاق منهم مع نفرة وبني مسقن وهم من أزداجة، وكانوا أصحاب القرشي سنة تسعين ومائتين فاستوطنوها سبعة أعوام .." ⁵ حيث ورد في كتاب الاستبصار حوالي القرن 12م / القرن 6هـ:

¹ نور الدين عبد القادر : صفحات من تاريخ الجزائر، ص 100-101.

² ناصر الدين سعيدوني : دراسات أندلسية ، ص 19 .

³ فوزي سعد الله : الشتات الأندلسي ، ج2، ص 145.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م، 34/2.

⁵ أبو عبيد البكري: المسالك و الممالك، تحقيق و تقديم: أدريان فان ليوفن و أندي فيري، د.ط، د.ب، دار الغرب الإسلامي-

الدار العربية للكتاب- المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق و الدراسات بيت الحكمة، 1992م، ج2، ص 738.

: "بناها جماعة من الأندلسيين البحرين بسبب المرسى بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها، فسكنوها مع قبائل البربر يقال لهم بني سكين نحو سبعة أعوام.." ¹ وهنا يتضح أغلبية كتب الرحالة والجغرافية أن تأسيس مدينة وهران كان على يد هؤلاء المهاجرين الموريسكيين.

6.3.2 تلمسان : ويذكر الباحث فوزي سعد الله أنه في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، وتحديداً خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1411م و1424م، شهدت مدينة تلمسان تدفق موجات جديدة من اللاجئين الأندلسيين. وقد قوبل هؤلاء النازحون، كالسابقين، بحفاوة وترحيب من قبل سلطات الدولة الزيانية وسكانها، الذين أبدوا روحاً عالية من التضامن والتكافل. وتمت عملية إدماج النخبة الأندلسية في الحياة الإدارية والعلمية للمدينة، إذ أُسندت إليهم وظائف تتناسب مع مؤهلاتهم العلمية والاجتماعية. كما خُصص حيٌّ مستقل للحرفيين والتجار الأندلسيين أطلق عليه اسم "درب الأندلسيين"، بغرض تمكينهم من مواصلة نشاطاتهم الاقتصادية في بيئة ملائمة ومستقرة ².

¹ مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار في وصف مكة والمدينة ، و مصر وبلاد المغرب ، نشر و تعليق: سعد زغلول عبد الحميد ، د.ط الدار البيضاء، الدار نشر المغربية ، ، 1985م، ص 133.

² فوزي سعد الله : الشتات الاندلسي ، ج2، ص 203.

3. إسهامات الموريسكيين في بناء التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر خلال القرنين 16م/17م :

مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي ومع تزايد موجات الهجرات الأندلسية نحو الجزائر برزت إسهاماتهم في المجال العمراني إذ ود إليهم الفضل في تأسيس عدة مدن جديدة مثل القليعة والبليدة، كما ساهموا في تجديد وتحصين عدد آخر منها لمواجهة الأخطار الإسبانية المتزايدة في الجهة الساحلية ومن أهم هذه المدن دلس تنس شرشال جيجل القالة¹، وقد عكست هذه الجهود في انتقال المعارف الأندلسية في الهندسة وبناء العمارة العسكرية منها القلاع والحصون والأبراج والأبواب والبطانات²،

وغيرها إلى العمارة الجزائرية ولعل أبرز هذه التحصينات التي شيدت في مدينة الجزائر نذكر مايلي :

1.3. القلاع والحصون:

تتميز مدينة الجزائر بقوتها الدفاعية بفضل قلاعها المنيعة وموقعها الطبيعي الحصين ، إذ تحيط بها جبال شاهقة تجعل منها حصناً طبيعياً يصعب السيطرة عليها ، مما يفرض على أي قوة أن تحتل أولاً على تلك المرتفعات قبل الشروع في أي عملية عسكرية ذات شأن³.

وهنا كان للأندلسيين الموريسكيين المهاجرين للجزائر الدور المحوري في تشييد القلاع والحصون بالمدن التي استقروا بها على طول الساحل الجزائري ففي مدينة الجزائر على سبيل المثال ساهموا في بناء قلعتها وتحصينها وفي سياق هذا الحديث يمكن عرض أبرز إنجازاتهم في هذا المجال :

¹ ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية ، ص 19 .

² البطانات : يقصد بالبطاريات أو طبانات أو الطبخانات وهي معاقل للمدفعية في الأسوار والحصون والأبراج ، وفي التراب بعد حفر حفرة وإحاطتها بأكياس من التراب أو الرمال . ينظر : بلبروات بن عتو : المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و ميناها خلال العهد العثماني ، مجلة الحضارة ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، العدد 14 ، 1431هـ/2010م ، ص 160.

³ ج.أو هابنسترايت : رحلة العالم الألماني ج.أو . هابنسترايت إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145هـ-1732م) ، ترجمة و

تقديم و تعليق : ناصر الدين سعيدوني، د.ط، تونس دار الغرب الإسلامي ، د.س، ص 75.

1.1.3 قلعة دار السلطان: كان اسمها الأصلي القصبة حيث تعدّ القلعة المعروفة اليوم بدار السلطان والواقعة في حي الباب الجديد، من أبرز المعالم التاريخية التي شكّلت نواةً معمارية داخل المدينة العتيقة، وهو الاسم الذي اتسع استعماله لاحقاً ليشمل جزءاً أوسع من النسيج الحضري للمدينة¹، ويرى الباحث لوسيان غليفان أنّ هذه القلعة تمثّل نموذجاً من نماذج العمارة الدفاعية التي تعود أصولها إلى الطراز الإيبيري الإسلامي، ومنه يشير إلى أنّ بعض خصائصها قد توحى بتأثير محدودٍ بالعمارة التركية العثمانية، غير أنّ ذلك التأثير يظلّ ضعيفاً أمام فرضية أكثر وجاهة تربطها بالعمارة الأندلسية – الموريسكية²، وقد أضاف لوسيان غولفين أنّه يمكن نرى أثر الحصون الإسبانية القديمة في تكوين هذه القلعة، لا سيما تلك المنتشرة في شمال إسبانيا، والتي تجد نظائرها في الشمال الغربي من الجزائر. كما يشير إلى أنّ الطابع العام للتحصينات الدفاعية في هذه المدينة لا يُدين بالكثير من سماته إلى العمارة العسكرية العثمانية، بل يُدين بدرجة أكبر إلى العمارة الإسبانية المسيحية، التي احتفظت في بنيتها وجمالياتها بعناصر أندلسية موريسكية واضحة استمر تأثيرها حتى بعد سقوط غرناطة³.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن قلعة القصبة المعروفة أيضاً باسم دار السلطان تمثل نموذجاً معمارياً يجسد الطراز الأندلسي الموريسكي في تصميمها بما تحمله من عناصر زخرفية ومعمارية تعكس تأثيرات الفن الأندلسي في العمران الجزائري.

2.1.3 حصن المقام: ذكر ناصر الدين سعيدوني أنّ الأندلسيون شيدوا أغلب الحصون في مدينة الجزائر ومن أشهرهم حصن المقام الذي بني على إحدى الجزر المقابلة للمدينة في أواخر القرن 15م⁴.

¹ فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي، ج2، ص 82.

² فوزي سعد الله: المرجع نفسه، ج2، ص 83.

³ فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي، ج2، ص 82-83.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية، 20-21.

3.1.3 حصن الثغرين: شارك الأندلسيون في بناء حصن الثغرين الواقع خارج باب الوادي، وقد أنجز هذا الحصن على يد جماعة من الثغرين ليكون سنداً دفاعياً لمدينة الجزائر وحمايةً لمداخلها الغربية¹.

2.3 الثكنات:

1.2.3 أوسطى موسى: أو كذلك " قشلة أوسطى موسى " ² نُسبت هذه الدار إلى القائد العسكري والمهندس المعماري "موسى الأندلسي" الذي تولّى قيادة جندها³، وعُرفت كذلك بدار الإنكشارية "متاع"⁴ باب الجزيرة "لقرب موقعها من باب البحرية. وقد شُيّدت عمارتها في موقعٍ مقابل لثكنة الدرج⁵، وتمّ إنجاز بنائها في عهد الباشا حسين (1627-1633) خلال فترة حكم الباشوات في الجزائر⁶.

2.2.3 ثكنة متاع الدروج: عرفت هذه الثكنة تسميتها من طبيعة موقعها إذ لا يمكن الوصول إليها إلا عبر سلّم يتكوّن من عدّة درجات مرتفعة⁷، وقد تعددت أسماؤها تبعاً لموقعها الجغرافي وصلتها بالمناطق المجاورة فكانت تُعرف أحياناً بـ"ثكنة يالي" أي السفلى، كما أُطلق عليها اسم "ثكنة القناصل" نظراً لإشرافها المباشر على شارع القناصل⁸ في حين سُمّيت سُمّيت أيضاً بـ"ثكنة الدواميس" لقربها من الشارع الذي يحمل الاسم ذاته⁹، تُعدّ هذه الثكنة من أبرز الإنجازات العمرانية ذات الطابع العسكرية وقد شُيّدت هذه الثكنة سنة 1674 م¹⁰ التي أشرف على إنشائها المعلم موسى الموريسكي الجُميري¹¹.

¹ ناصر الدين سعيدوني: المرجع نفسه، ص 41.

² فوزي سعد الله: المرجع نفسه، ج 2، ص 85.

³ Heen Klien ; Feuillet D'El-Djerair ; T 01 ; 26 édition du Tell ; Alger ; 2003 p96 .

⁴ كلمة متاع : لفظة الخاصة بالأهالي و سكان مدينة الجزائر و التي تعني الملكية .

⁵ Albert Devoulx , Alger étude archéologique et topographique ,in Reue Africane , 1875/ N° 20,1878 ,p 344 .

⁶ Sakina Missom ; Alger à l'époque Ottomane la madina et la maison traditionnelle ,INAS,Alger,2003 , P140.

⁷ Gabriel Colin , Corpus des inscriptions arabes et turques de L'Algérie ,Ernest Leroux , Paris ,France ,France ,1901,p 39.

⁸ علي خلاصي: القلاع و الحصون في الجزائر ، د.ط ، مطبعة الديوان، الجزائر ، 2008م، ص 43.

⁹ Heen Klien ; Feuillet D'El-Djerair ; Op.cit ; P 3 : Sakina Missom ; Alger.: Op.cit p96

¹⁰ إبراهيم بن يحيى البوسعيدى و آخرون: الدور العسكري لموريسكي الأندلس في الدفاع عن الجزائر العثمانية حتى نهاية القرن السابع

عشر الميلادي ، حوليات آداب عين الشمس ، جامعة عين الشمس، مصر، المجلد 50، عدد جانفي - مارس، 2022م، ص 221.

¹¹ فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي ، ج 2 ، ص 85.

3.2.3 الثكنة القديمة والجديدة : تعد هاتان الثكنتان من معاقل الإنكشارية و تُعرفان باسم "ثكنة متاع الخضارين" نسبة إلى موقعها القريب من سوق الخضارين¹ ، كما أطلق على اسم الثكنة الإنكشارية القديمة بـ "التحتانية" و الجديدة بـ "الفوقانية"² .

ويعود تاريخ بناء الثكنتين إلى فترتين مختلفتين إذ تُعدّ الثكنة السفلى الأقدم، ويُرجّح حسب الكتابة التذكارية المثبتة عند مدخلها الأصلي أن إنشاؤها تم سنة 1037هـ الموافق 1627م - 1628م وفي عهد حسن باشا على يد المهندس موسى الأندلسي³ .

أما الثكنة العليا فيعود تاريخ بنائها إلى سنة 1047هـ الموافق 1637-1638م، أي بعد نحو عشر سنوات من الساكنة الأولى، وذلك خلال حكم علي باشا، وقد تولّى تصميمها وتنفيذها المهندس علي بن موسى الأندلسي ، وفق ما ورد في الكتابة التذكارية المثبتة على مدخلها⁴ .

3.3 الأبراج :

1.3.3 برج الفنار : تأسس من طرف الأندلسيين في أواخر القرن 15م قبل أن يسيطر عليه الإسبان في بدايات القرن 16م في حكم الثعالبة أيام عهد سالم التومي⁵ ، وقد استُخدمت في البداية منارة لإرشاد السفن ولمراقبة حركة الملاحة والاستكشاف، قبل أن يُقيم القائد الإسباني بدرو نافارو في موقعها الحصن المعروف باسم "البينيون" والذي عُرف لاحقاً بـ "برج الفنار" .

2.3.3 برج الثغرين : شُيّد برج الثغرين بأمر من محمد باشا سنة 1568م وقد تولّى تصميمه وتنفيذه المهندس مصطفى الصقلي كان البرج يضم ثمانية مدافع مخصّصة للدفاع عن الثغر، ويُعرف أيضاً بعدة تسميات منها : "برج النجمة" و "برج الثغرين"، و "برج محمد باشا" . يقع البرج على مرتفع جنوبي من حصن الإمبراطور على بُعد نحو 633 متراً، كما يبعد عن القصبة بحوالي 200 متر. وقد شُيّد البرج على شكل خماسي يبلغ محيطه الداخلي 16.5 متراً⁶ .

¹ Heen Klien : idem, P 36 .

² Sakina Missom ; Idem, P 143 .

³ Gabriel Colin ; Idem, p 35-36 .

⁴ Gabriel Colin ; Corpus.. , Op.cit , p42.

⁵ فوزي سعد الله : الشتات الأندلسي ، ج2، ص 83 .

⁶ درياس لخضر: المدفعية الجزائرية في العهد العثمان، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1989م/1990م، ص111 .

وقد تعرّض البرج للدمار الكامل نتيجة انفجارٍ في مخزن البارود بسبب اشتعال النار فيه بدافعٍ من رغبةٍ في الانتقام من سيد البرج، ما أدى إلى انهياره التام¹.

3.3.3 برج الجمرک: شُيّد هذا البرج بأمر من القائد الصّفا ما بين سنتي 1551 و1552م وفي عهد حسن باشا بن خير الدين. ويُعرف عند الأهالي باسم "طبانة الأندلس"، نسبةً إلى العمّال الأندلسيين الذين شاركوا في بنائه، وقد أُعيد ترميمه آخر مرة عقب هجوم الأسطول الإنجليزي "ايكسموث" على الجزائر²، يقع هذا البرج بالقرب من طبانة الجامع الكبير وكان مزوّداً بثلاثة وعشرين مدفعاً من بينها مدفع ذو سبع فوهات جُلبت من مدينة فاس من طرف رمضان باشا³.

4.3.3 برج الأندلس: بني البرج في بدايات القرن 17م على يد المهندس الأندلسي الموريسكي المعلم موسى حيث شيد هذا البرج في أسفل الحاضرة تحت الجامع الجديد مطلاً على باب البحر والذي كان مسنداً بمدفع يتوفر على سبع فوهات⁴.

5.3.3 برج السردين: يعدّ برج السردين من أقدم تحصينات الميناء⁵، إذ يقع بين برج "ما بين بين" وقد استمدّ تسميته من نقشٍ يعلو بابه يصوّر سمكتين من نوع "السردين" شُيّد البرج في عهد أحمد باشا سنة 1667م، وأُعيد بناؤه لاحقاً في عهد محمد بن عثمان باشا خلال سنتي 1776-1777م، كما تُشير الكتابات أنه شيد علي يد الموريسكي الأندلسي إبراهيم بن موسى⁶ حيث اعتمدت ترجمت كولان في النص للغة العربية:

بعد التّك أنّها السلطان محمد خان الغازي
اضيفت مدفعية قوية إلى تحصينات الجزائر
و الذي أكمل بناءها هو أحمد باشا

¹ درياس لخضر: المرجع نفسه، ص 111.

² درياس لخضر: المرجع نفسه، ص 116.

³ درياس لخضر: المدفعية الجزائرية، ص 115-116.

⁴ فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي، ج 2، ص 83.

⁵ فهم لقوارة، ميناء مدينة الجزائر و دوره الاقتصادي في العهد العثماني (ق 11-10هـ/ 17-16م)، د.ط، الجزائر، دار

كوكب العلوم للنشر و الطباعة و التوزيع، 2023م، ص 66.

⁶ درياس لخضر، المدفعية..، ص 124.

بجهود عسكره المنصور المقدام
عند إتمام سيكون ليومه تاريخ
ارم قذائف صائبة أيها البرج الجميل
تمت على يد الفقير إبراهيم بن موسى عام 1077هـ¹

4.3 الطبانات:

1.4.3 طبانة جامع الكبير: لقد شيد الأندلسيون المهاجرون في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بالجزء المحصور بين المسجد الكبير ورصيف "خير الدين" طابنتين أساسيتين طَبَّانة الجامع الكبير وطَبَّانة الأندلس حيث تقع الأولى بمحاذاة الجامع الكبير وتشرف مباشرة على الرصيف الثاني الذي شكّل مدخل السفن إلى الميناء متصلاً برصيف "خير الدين" الواقع على بعد نحو ثمانين متراً من طَبَّانة قاع السور². وقد عُدَّت هذه الطبانة امتداداً لسور الواجهة البحرية للمدينة حيث كانت محصّنة بأربع قطع مدفعية يشرف عليها الباش طَبَّجي³ يتولى مهام الإشراف العسكري والدفاعي عنها⁴.

2.4.3 طبانة الأندلس : كانت تقع في الجهة البحرية متقدمة لثكنة الدروج وبالقرب من البحر على الجانب الأيسر من رصيف "خير الدين" على مقربة 120م من طبانة جامع الكبير⁵، عرفت هذه الطبانة باسم طبانة "كومارجي" أي طبانة الجمارك لأنها كانت تشرف على مبنى الرصيف الذي يسمح للمسلمين الدخول إلى المدينة عن طريق دفع جباية⁶.

¹ Gabriel Colin : Corpus .. , Op.cit , p61.

² Albert Devoulx : Alger étude : Op.cit , p 337.

³ الباش طَبَّجي : و هو قائد المدفعيين و المسؤول على العمال و السباكين و المسؤول على دفع رواتبهم . ينظر: علي خلاصي:

الجيش الجزائري في العصر الحديث ، ط1، الجزائر، دار الحضارة ، 2007، ص 149.

⁴ Albert Devoulx : Alger étude : idem ,p337.

⁵ Albert Devoulx ; La Batterie des Andalous à Alger , in Revue Africane ,1872,P 340-341.

⁶ Albert Devoulx ; La Batterie ; Idem , P 342 .

5.3 الأبواب :

تدل المصادر التاريخية على أن مدينة الجزائر كانت تحتوي على خمسة أبواب كبرى في الفترة العثمانية وهذا ما أشار إليه المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان بقوله : " وكان للمدينة خمسة أبواب رئيسية الباب الجديد بالجنوب الغربي من المدينة ويوجد في أسفل القصبة وباب عزون جنوباً وهو أعظم شأناً ومنه يدخل القادمون من الأرياف ويربط بينه وبين باب الواد طريق تجارية طويلة وباب الجزيرة أو باب الجهاد المفتوح على مكسر الأمواج الكبير ومنه يمر الرؤساء وأخيراً باب السمك أو المصيدة أو الديوانة وإليه يتجه القادمون من الميناء " ¹.

كان يشرف على كل باب قائد يعرف بقائد الباب وهو المسؤول عن مفاتيحها و تنظيم الحراس، ومن أجل الحفاظ على أمن المدينة ونظامها كانت تغلق هذه الأبواب من منتصف الليل إلى غاية الرابعة صباحاً ². ولعل أهم الأبواب التي ساهم بها الأندلسيون الموريسكيون في تشييدها أو ترميمها نذكر على النحو التالي :

1.5.3 باب الجزيرة : يعد باب الجزيرة من أقدم مداخل مدينة الجزائر وعرف بعدة تسميات فعند أهالي المدينة فيعرفونه باسمين أحدهما "باب الجهاد" وهو الغالب في معظم الكتابات والنصوص الرسمية والثاني "باب الدزيرة" وهي تصحيف للفظة الجزيرة أما عند الأوروبيين فيعرفونه باسم "باب المول" أو "باب البحرية" ³، وقد تأكد أن تشييده تم خلال النصف الأول من القرن السادس عشر على يد الموريسكي المعلم موسى الأندلسي سنة 1539م، ويستدل على ذلك من الكتابة التأسيسية المنقوشة على الباب، وذلك في عهد حسن آغا (1533-1544م) ⁴، وكانت هذه البوابة المَحْصَنَة بإتقان تمثل المنفذ الوحيد الذي يربط المدينة بالميناء، ومن خلالها كان يعبر جميع المرتبطين بالنشاط البحري، من بحارة ورياس وصيادين، إضافةً إلى التجار والعمال ⁵.

¹ شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب : محمد مزالي ، البشير بن سلامة، ط2، تونس، دار التونسية للنشر ، 1983، ج 2، ص 336.

² Gabriel Colin : Corpus...Op.cit , P 68 -74 .

³ فهم لقوارة: ميناء مدينة الجزائر ، ص 75.

⁴ Gabriel Colin :Corpus.. , Idem, p38.

⁵ فهم لقوارة : ميناء مدينة الجزائر ، ص 76.

2.5.3 باب البحر : أعاد ترميمه المعلم موسى الأندلسي ويعتبر أحد أهم الأبواب لمدينة سيدي عبد الرحمن الثعالبي وقد جاء إنجازهُ استكمالاً للهندسة المعمارية التي أرساها الأندلسيون قبله في أواخر القرن 15 م الذين كانوا وراء تشييد برج الفنار¹ ، وتُعد باب البحر الثانية التي فُتحت في سور الواجهة البحرية للمدينة بعد باب الجزيرة ، حيث كان موقعها غرب دار صناعة السفن، على بُعد نحو أربعين خطوة منها وقد عُرفت بعدة تسميات منها "باب الجمرک" أو "باب الديوانة" نظراً لوجود مقر الجمارك بجانبها، حيث كانت تُفَرِّغ عندها السلع القادمة من التجار المسيحيين وتُسَجَّل قبل إدخالها إلى المدينة، كما سُمِّيت "باب دار الصناعة" لكونها تؤدي إلى ورشة صناعة السفن القريبة منها².

4. خاتمة:

استناداً إلى المعطيات المتقدمة، يمكن التوصل إلى عددٍ من النتائج الرئيسة من بينها :

أولاً : يتبين من خلال التحليل التاريخي لتطوّر مصطلح /الموريسكيين أنّ هذا المفهوم لم يكن ثابتاً في الدلالة، بل تشكّل تدريجياً ضمن سياقات سياسية ودينية واجتماعية معقّدة رافقت سقوط مملكة غرناطة وتحولات الجذرية في المملكة الإسبانية في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السابع عشر. فقد استُعمل المصطلح بدايةً للإشارة إلى المسلمين الذين خضعوا لسياسات التنصير القسري بعد 1492، ثم توسّع ليشمل أحفادهم الذين ظلّوا يعيشون تحت ضغط محاكم التفتيش، قبل أن يرتبط لاحقاً بجماعات المهجّرين الذين طُردوا نهائياً ما بين 1609 و1614.

ثانياً : تبين أنّ هجرة الموريسكيين كانت نتيجة تراكم الضغوط الدينية والسياسية في إسبانيا، من التنصير القسري إلى الطرد النهائي، وقد تركت هذه الحركة أثرها البارز في التكوين الاجتماعي والثقافي للمجتمعات التي استقرّوا فيها، خصوصاً المغرب الأوسط عامة ومدينة الجزائر خاصة .

¹ فوزي سعد الله : الشتات الأندلسي ، ج 2، ص 83.

² Gabriel Colin : Corpus .. , Idem ,P 39 .

ثالثاً: تُظهر المعطيات التاريخية أنّ الموريسكيين اتجهوا بعد هجرتهم إلى مناطق ساحلية ذات أهمية استراتيجية كمدينة وهران تلمسان القليعة وشرشال وغيرها، حيث شاركوا بفعالية في إعمارها وتطوير بنيتها الحضرية. وقد أسهمت خبراتهم الأندلسية الموريسكية في تخطيط الأحياء وإنشاء مراكز عمرانية جديدة، ما جعل حضورهم عاملاً أساسياً في نمو المدن الساحلية وتعزيز دورها التجاري والدفاعي في الساحل الجزائري عامة ومدينة الجزائر خاصة.

رابعاً: أنّ الموريسكيين لعبوا دوراً محورياً في بناء التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، سواء من حيث التخطيط الهندسي أو التنفيذ المعماري، فقد أسهمت خبراتهم الأندلسية في تعزيز الطابع الفني والعسكري للحصون والقلاع والأبراج، ودمجت بين الأساليب المعمارية المحلية والتقنيات المستوردة من الأندلس. كما بيّن هذا الدور مدى التفاعل الحضاري بين الموريسكيين والسكان المحليين والعثمانيين كذلك، ما أسهم في تطوير منظومة دفاعية متكاملة أعطت المدينة قوة ومثانة في مواجهة التهديدات البحرية والبرية من الحملات الأوروبية. وبالتالي يُعدّ مساهمتهم شهادة على الأثر الحضاري والمادي للأندلسيين الموريسكيين في تاريخ الجزائر الدفاعي والعمراني.

قائمة المصادر والمراجع:

1. جمال عبد الكريم ، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم ، (د.ط) ، القاهرة مكتبة ، نهضة الشرق، (د.س) .
2. هيلالي حنيفي: أبحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي ، (د.ط) ، الجزائر – عين مليلة ، دار الهدى 2016م .
3. ميكيل دي إيبالسا : الموريسكيون في إسبانيا و المنفى ، ترجمة : جمال عبد الرحمن ، ط1 ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.
4. فوزي سعد الله : الشتات الأندلسي في الجزائر و العالم ، د.ط ، الجزائر ، دار قرطبة للنشر و التوزيع ، 2016م، ج2 .
5. جمال يحيوي : سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين 1492م-1610م ، د.ط ، الجزائر ، دار هومه، 2004م .
6. محمد الأمين بلغيث، حلقات في تاريخ الغرب الإسلامي (فصول في التاريخ و العمران بالغرب الإسلامي)، د.ط ، الجزائر ، دار القافلة للنشر و التوزيع، 2014م.
7. شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب : محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، ط2، تونس، دار التونسية للنشر ، 1983، ج 2.
8. نور الدين عبد القادر : صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، د.ط ، الجزائر ، دار الحضارة ، ، د.ت .
9. عبد الحميد بن اشهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، د.ط ، الجزائر، الجيش الشعبي للطباعة ، 1972م.
10. ناصر الدين سعيدوني : دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر ، ط2، الجزائر، دار البصائر للنشر و التوزيع ، 2014.
11. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة : محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط2، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1983م ، ج 2 .
12. أبو عبيد البكري ، المسالك و الممالك ، تحقيق و تقديم : أدريان فان ليوفن و أندي فيري، د.ط، دب، دار الغرب الإسلامي- الدار العربية للكتاب- المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق و الدراسات بيت الحكمة ، 1992م، ج2،
13. علي خلاصي: الجيش الجزائري في العصر الحديث ، ط1، الجزائر، دار الحضارة، 2007م .
14. علي خلاصي: القلاع و الحصون في الجزائر ، د.ط ، الجزائر ، مطبعة الديوان ، 2008م.
15. مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار في وصف مكة و المدينة ، و مصر وبلاد المغرب ، نشر و تعليق: سعد زغلول عبد الحميد ، د.ط الدار البيضاء، الدار نشر المغربية ، ، 1985م .
16. ج.أو هابنسترايت: رحلة العالم الألماني ج.أو . هابنسترايت إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145هـ- 1732م) ، ترجمة و تقديم و تعليق : ناصر الدين سعيدوني، د.ط، تونس دار الغرب الإسلامي، د.س .
17. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف ، د.ط، القاهرة، دار المعارف، 2009م
18. فهم لقوارة: ميناء مدينة الجزائر و دوره الاقتصادي في العهد العثماني (ق 10-11هـ / 16-17م) ، د.ط ، الجزائر، دار كوكب العلوم للنشر و الطباعة و التوزيع ، 2023م .

19. فؤاد طوهارة : الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي و المجال الجغرافي ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، العدد 15، 2015م.
20. إبراهيم بن يحيى البوسعيدي و آخرون: الدور العسكري لموريسكي الأندلس في الدفاع عن الجزائر العثمانية حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي ، حوليات آداب عين الشمس ، جامعة عين الشمس، مصر، المجلد 50، عدد جانفي - مارس، 2022م.
21. بلبروات بن عتو : المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و مينائها خلال العهد العثماني ، مجلة الحضارة ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، العدد 14، 1431هـ/2010م.
22. هيلالي حنفي: مشروع البحرية الجزائرية في عمليات إنقاذ الموريسكيين الأندلسيين خلال القرنين 16 و 17 م، أعمال الملتقى الدولي الموانئ الجزائرية عبر العصور " سلما و حربا" ، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني ، 07-08 ديسمبر 2009 م ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة الجزائر (02) ، بوزريعة- الجزائر .
23. درياس لخضر : المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، 1989م/1990 م .
24. Heen Klien ; Feuillet D'El-Djerair ; T 01 ;26 édition du Tell ; Alger ; 2003
25. Albert Devoulx , Alger étude archéologique et topographique ,in Reue Africane ,1875/ N° 20,1878
26. Sakina Missom ; Alger à l'époque Ottomane la madina et la maison traditionnelle ,INAS, Alger,2003.
27. Gabriel Colin , Corpus des inscriptions arabes et turques de L'Algérie ,Ernest Leroux , Paris ,France ,1901.
28. Albert Devoulx ; La Batterie des Andalous à Alger , in Revue Africane,1872 .